أخلاقيات الأسرة في الفكر الحداثي الغربي عند المفكر طه عبد الرحمن
قراءة تربوية إسلامية

د. سميرة عبدالله الرفاعي[1]

المستخلص

هدف البحث إلى قراءة أخلاقيات الأسرة في الفكر الحداثي الغربي وما بعد الحداثي عند المفكر طه عبد الرحمن برؤية تربوية إسلامية؛ ولتحقيق الهدف المذكور اتبعت الباحثة المنهجين: الاستقرائي، والوصفي التحليلي.وخلص البحث إلى عدد من النتائج أبرزها: أنّ الأسرة في رأي المفكر طه عبد الرحمن هي: "المحل الذي يتعلق فيه الإنسان بغيره تعلق نسب ويتخلق فيها بحسب هذا التعلق"، وأنّ أخلاق الحداثه هي الأخلاق اللادينية التي كرست جهود الساعين بفصل الأخلاق عن الدين في الأسرة على وجه الخصوص، وأن أخلاق الأسرة الحداثية انقلبت إلى خلاف مقصودها في وليدتها الأسرة ما بعد الحداثية وأفرزت تحديات أخلاقية هبطت بالإنسان من الإنسانية إلى البهيمية.وفي ضوء نتائج الدراسة توصي الباحثة بمزيد من الدراسات الفكرية المعمقة لكتابات المفكر طه عبد الرحمن؛ في سبيل إخراجها لحيز عموم النفع وتيسير سبل الفائدة، بوساطة البحث العلمي شرحاً وتنقيباً.

[1] الأستاذ المشارك في التربية الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن.
dr.sasa79@yahoo.com

مقدمة:

يسير النفع في المجتمع بتحول الأفكار المعلقة إلى تطبيقات عملية وفق سلسلة خماسية من الحلقات المترابطة والمتصلة بعضها ببعض؛ حيث تنتقل تلك الأفكار من أهل التنظير، ثم إلى أهل المعرفة، ومنهم إلى الفئة المثقفة، ثم إلى مثقفي العوام، ومنه إلى عوام المجتمع؛ وما سبق يؤكد أهمية العكوف والدراسة الجادة لقراءة أفكار أهل التنظير والفكر- سيما من عُرِف منهم أنه من أهل الهمة والصلاح- حتى يحال المفيد من إنتاجهم إلى واقع الحياة العملية؛ فيجد طريقه للإصلاح والتجديد الذي يرقى بالأمة، وينأى بها عن مذاهب الانحراف الغابرة والمعاصرة.

وممن ارتفعت همتهم بالعمل لخدمة الأمة، المفكر الكبير الدكتور طه عبد الرحمن، فقد تصدرت أفكاره الإصلاحية والتجديدية الساحة الفكرية؛ فعكف الباحثون إلى إعادة نقلها لمن هم دونهم فيعم النفع، وقد لوحظ على منهجه الفلسفي المتعقل، الدراسة الواعية العميقة، التي يهضم فيها المذاهب الفكرية الغابرة والمعاصرة شرقيها وغربيها، ويبني نموذجاً للرد عليها بمنطق الإيمان، والإعلاء من شأن القيم الإسلامية، والجمع بين القيمة الروحية والعلم،متأثراً بتربيته الأسرية، وأصوله الصوفية، كما تتميز سياسته الفكرية في البناء عقب الهدم؛ حتى لا يقف عند حد الأخير، بل يتعداه للبناء فيسمى النقد البناء، سيما للتحديات التي أفرزها واقع الحداثة وما بعد الحداثة الغربية.

استهلت الحداثة الغربية ميلادها بالانفصال عن المؤسسة الدينية التي تمثلها الكنيسة ورجالها، وكل ما يرتبط بها من أخلاق مرجعها الدين؛ لتبني لنفسها ما سمي بأخلاق الحداثة (الأخلاق اللادينية)، والتي تؤسس سلوكيات كافة أفراد المجتمع ومؤسساته، وأولاها الأسرة، ولكن يتساءل المفكر الدكتور طه عبد الرحمن: هل أنّ هذه الأخلاق المبتغاة في روح الأسرة الحداثية انقلبت إلى ضدها ومقصودها في واقع الأسرة ما بعد الحداثية؟ وكان هذا السؤال الذي طرحه المفكر جدير بالقراءة والنظر؛ ضمن النموذج الذي قدمه، وأسماه التفصيل المُوَجَّه في التطبيق الحداثي الإسلامي؛ وعليه جاء اختيار هذا البحث.

مشكلة البحث وأسئلته

نظراً لما تضافرت عليه عدد من المؤتمرات بضرورة الوقوف في وجه التحديات الفكرية الموجهة للأسرة[2]، العربية على وجه الخصوص والإنسانية على وجه العموم، باعتبار الفكر المحرك الأول لشتى مظاهر السلوك الإنساني، ويزداد الأمر أهمية إذا كانت تلك الأطروحات الفكرية مدعومة بفكرها المؤسسي والإيديولوجي الوافد من الغرب، والتي تهدد مسيرة الأسرة وقيمها النقية، المستقاة من توجيهات الوحي (القرآن الكريم والسنة المطهرة)، محاولة نمذجة الأسرة وفق مصالحها ورغباتها.

ومن أبرز الأطروحات الفكرية المعاصرة الحداثة وما بعدها، فقد كثرت الجدالات الفكرية حول تلك الصيحات بين من يعتبرها حقبة تاريخية فقط، أو إيديولوجية فقط، أو مشروعاً لم يكتمل بعد, وفي سبيل الخروج بفكر يجلي هذه الآراء جاء اختيار فكر طه عبد الرحمن في رؤيته للحداثة الغربية من خلال أخلاقيات الأسرة؛ باعتبار الأسرة المخبر المجتمعي الأول، الذي تنطلق منه وتعود إليه نتاجات تلك الأفكار، فالأسرة المحضن الأول لتنشئة الفرد والجماعات وبها قوام المجتمع أو هدمه، ناهيك عما عرف عن طه عبد الرحمن بالنقد الموضوعي المتعمق للفكر المعاصر.

---

[2] مؤتمر الأسرة الأول: الأسرة العربية في وجه التحديات والمتغيرات المعاصرة، بيروت-لبنان، 5-6 أيار، 2002م.

- المؤتمر العلمي الدولي "الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة"، عمان-الأردن، 9-11 نيسان، 2013م.

ويضاف إلى ما سبق أنّ القارئ المتتبع للدراسات الفكرية، قد يلمس نوعاً من الفصل بين شرح الاتجاه الفكري وتطبيقه التربوي في الأسرة على وجه الخصوص، حيث يكتفي بطرحه في عمومه الفكري ومرتكزاته النظرية حتى ولو ألمحت بعض الدراسات بشيء من التطبيقات التربوية في المناهج والأهداف، إلا أنها تبقى قيد التنظير بربط يسير لا يعكس بالضرورة حقيقة الواقع الأسري أو استقرائه العميق عند أهله والمُصَدّر إلينا, وعليه تتحدد مشكلة البحث بندرة الدراسات التي تجمع بين دفتي التنظير في أعلى درجاته والواقعي في أولى طبقاته المتعلقة بأدق مؤسسة تربوية وهي الأسرة؛ حيث جاء البحث الحالي يجلي مرتكزات أخلاقيات الأسرة في ظل روح الحداثة وتطبيقاتها المنشودة في فكر طه عبد الرحمن بقراءة تربوية إسلامية.وبذلك يحاول البحث الحالي الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما أهم ملامح نشأة المفكر طه عبد الرحمن ومؤلفاته العلمية؟
2. ما أهمية تجديد المنهج في بناء المصطلحات؟
3. ما دلالة مفهوم الأسرة عند المفكر طه عبد الرحمن ومصطلحات أخرى ذات صلة؟
4. ما أبرز أخلاقيات الأسرة في روح الحداثة الغربية ومرتكزاتها؟
5. ما أبرز التحديات الأخلاقية في واقع الأسرة الحداثية وما بعد الحداثية في ميزان التفصيل الموجه في التطبيق الحداثي الإسلامي؟

أهداف البحث

يهدف البحث لتحقيق ما يأتي:

1. استطلاع ملخص لسيرة المفكر طه عبد الرحمن.
2. بيان أهمية تجديد المنهج في بناء المصطلحات.
3. توضيح الإطار المفاهيمي للدراسة ومنها: مفهوم الأسرة عند المفكر طه عبد الرحمن ومصطلحات أخرى ذات علاقة.
4. بيان أخلاقيات الأسرة في روح الحداثة الغربية ومرتكزاتها.
5. بيان أبرز التحديات الأخلاقية في واقع الأسرة الحداثية ومابعد الحداثية في ميزان التفصيل الموجه في التطبيق الحداثي الإسلامي.

أهمية البحث

تنطلق أهمية البحث من أهمية موضوعه والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، وعليه يمكن للبحث الحالي أن يفيد الجهات الآتية:

1. الباحثين وطلبة الدراسات العليا ذوي الاهتمامات الفكرية، في كيفية شرح الأفكار وتحليلها وربطها بالواقع.
2. منظروا الدراسات الأسرية المقارنة، حيث تشكل كتابات طه عبد الرحمن معيناً خصباً للإيديولوجية المعاصرة في العالمين الشرقي والغربي.
3. التربويون، في الاستفادة من فكر طه عبد الرحمن في كيفية الربط الأمثل بين السبب في الظاهرة السلوكية ومثله الأخلاقي الأعلى، ولا سيما إن كانت تلك المثل مستقاة من قيم الوحي وتوجيهاته، وهذا هو عين العمل التربوي.

منهجية البحث

اتبعت الباحثة المنهجين: الاستقرائي الذي يعني بتتبع آراء المفكر في الموضوع محل البحث بصورة دقيقة،والمنهج الوصفي التحليلي الذي يعني بوصف الموضوع محل الدراسة وتحليله إلى جوانب متعددة تعبر عن جوهر الموضوع وخلاصته.

حدود البحث

يقتصر البحث الحالي في قراءة فكر المفكر طه عبد الرحمن بما يتعلق بأخلاقيات الأسرة في الفكر الحداثي الغربي بشكل رئيس على كتابه المحدد في الموضوع محل البحث الحالي والمعنون بـ(**روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية**)، ومن ثم الاستئناس بمؤلفاته الأخرى، وبالتالي يصعب تعميم استنتاجات الدراسة خارج الحدود المذكورة.

المحور الأول: السيرة الذاتية للمفكر طه عبد الرحمن

إنّ الحديث عن نتاجات مفكر ما يستلزم بالمنطق النظر الموجز لمولده وسيرته العلمية؛ ما يبرر تسليط الضوء على فكره باستحقاق البحث والنظر، وبما أنّ البحث الحالي يتناول نتاج المفكر طه عبد الرحمن -في رؤيته المقارنة للأسرة في المنظور الحداثي الغربي وما بعده- باعتباره أحد المفكرين المجددين في العصر الحاضر، حتى أطلق عليه عدة ألقاب منها: "آخر حكماء المغرب" و " فيلسوف الأخلاق"، جراء فكره النير وأسلوبه الراقي.

وعليه في هذا المبحث المتكون من مطلبين أولاهما: مولده وشهاداته العلمية، وثانيهما: عطاؤه الأكاديمي وأبرز مؤلفاته، توضح فيهما الباحثة ما يلزم.

أولاً: مولده وشهاداته العلميه

ولد طه عبد الرحمن في المغرب في "المدينة الجديدة"عام 1944م، وتابع دراسته الابتدائية في منطقة "دكالة"، وبعدها أكمل دراسته الثانوية في"الدار البيضاء"، ليحول وجهته صوب العاصمة "الرباط" حيث حصل على شهادة الإجازة في الفلسفة[3].

نظراً لتطلعه العلمي لمزيد من التميز وارتشاف العلم؛ استكمل دراسته بـجامعة السوربون الفرنسية، حيث حصل منها على إجازة ثانية في الفلسفة ودكتوراه السلك الثالث عام 1972م، برسالة في موضوع اللغة والفلسفة معنونة بـ: رسالة في البنيات اللغوية لمبحث الوجود، ثم دكتوراه الدولة عام 1985م، لأطروحته المعنونة بـ: الاستدلال الحِجَاجي والطبيعي ونماذجه[4].

من الجدير بالذكر الإشارة إلى مرجعيته وتربيته الصوفية، حيث تربى في أحضان الزاوية البودشيشية في المغرب؛ وتنتسب الطريقة القادرية البودشيشية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (القرن الخامس الهجري)، ولقب البودشيشية اكتسبته الطريقة نسبة لشيخها "سيدي علي بن محمد" الذي لقب بـ "سيدي علي بودشيش"؛ لكونه كان يطعم الناس أيام المجاعه طعام الدشيشة في زاويته[5], وكان لكثير من سلوكيات المفكر طه عبد الرحمن الراقية وخطابه تأثراً واضحاً بهذه النشأة والحضانة.

---

[3] البطاري، رجاء، مجلة إسبوعية "مغرب اليوم"، العدد 219، المغرب- الدار البيضاء، 2013م.

[4] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، على شبكة الإنترنت:

[5] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، على شبكة الإنترنت:

فالخطاب الفلسفي والمنطقي في كتاباته مستند في روحه إلى الكتاب والسنة، عاكف عليهما، متشرب في منطقه مفاهيم الصوفية المعتدلة، بمزج عجيب ين الفلسفة والتصوف جامعاً بين إيجابيتهما، طارحاً ما يمكن أن يحتمل بينهما من تعارض؛ ليرسم صورة تكامل العلوم لا تضاربها؛ حتى لقب "فيلسوف الأخلاق"، وهو اللقب الذي لم يكتسبه لفكره فقط بل لممارساته السلوكية العاكسة لذاك الفكر "وأنك إذا اقتربت رأيت ثمة فطرة وبراءة وابتعاداً عن التصنع، وروحاً شفافة يكاد لا يملكها غيره ممن دخلوا عالم الفلاسفة المليء بالغموض"[6].

إنّ ما سبق من نشأته الصوفية وسيرته العلمية انعكست على شخصيته بصورة عامة، فعلى الرغم من الحظوة العلمية والفكرية التي يتمتع بها المفكر طه عبد الرحمن، إلا أنه عرف عنه التواضع إيماناً وسلوكاً، والحرص على الابتعاد عن عيون الإعلام التي تلاحقه، ما يبدو أنه غير مكترث بظهور نفسه جسداً، بقدر ما يحرص على تجلي فكره الراقي في سطور يكتبها أو ندوة يلقيها أو تلامذة يحتضنهم أو دقائق يغتنمها في المزيد من العلم والتطلع الفكري.

ومن بين عدد من طلبته الذين أضحوا أساتذة ومتخصصين في مجالاتهم الفكرية والثقافية، وصفوه: "بأنه سهل وطيع بدون ضعف، ومتواضع من غير ذل، وكم مرة شوهد طه عبد الرحمن في محاضراته التي يلقيها بالجامعات والمراكز العلمية بالمغرب، وقد جلس متواضعاً بدون أُبَّهة كأنه ليس صاحب المحاضرة، بل إنه كثيراً ما يحرص على مغادرة كرسيه في منصة الندوة ليستقبل الوافدين[7].

ثانياً: عطاؤه الأكاديمي وأبرز مؤلفاته

إنّ العطاء الأكاديمي للمفكر طه عبد الرحمن مرتبط لحد ما بصياغته لمنهجه في المعرفة، والمرتكز إلى ثلاثية: الانتماء بقوة وعزة إلى الدين الإسلامي الحنيف، وموقفه الناقد بموضوعية للتراث و مرونته الكبيرة في الانفتاح المنضبط على الآخر للاستفادة مما عنده، بعد الفهم والتمحيص والنقد في الأصول والفروع. يضاف إلى ما سبق ما يتقنه من لغات بجانب ثرائه وإحكامه المثير لأساليب اللغة العربية ودقائقها التعبيرية[8].

بعد أن استقرت لبنات فكر الفيلسوف طه عبد الرحمن، وبعد أن نهل ما شاء الله له أن ينهل من العلوم عاد إلى بلده المغرب في سبعينيات القرن الماضي –العشرين- ليقوم بتدريس الطلبة المنطق في جامعة محمد الخامس بالرباط، ولكن اللافت للنظر أنه درس متنه الفلسفي بمنهج مغاير لما هو شائع في الجامعات المغربية آنذاك، والتي تعطي للفلسفة هوية يسارية بحتة[9]، وتربطها بالهدم والمعاني السفسطائية بعيدة المنال.

إلا أنّ المفكر قدم تدريسه للمنطق بثوب جديد متأثراً بمصطلحات الصوفية النقية، وفكره العميق بمفاهيم التراث الصافية، واستيعابه لمفاهيم الفكر الغربي، وقدرته على النحت الاصطلاحي والاستعارة الواعية ولاسيما في فلسفة الأخلاق، والجمع بين هذا وذاك، حيث إنه جمع بين التحليل المنطقي واللغوي والواقعي.

---

[6] البطاري، رجاء، مجلة إسبوعية "مغرب اليوم"، العدد 219، المغرب- الدار البيضاء، 2013م

[7] البطاري، رجاء، مجلة إسبوعية "مغرب اليوم"، العدد 219، المغرب- الدار البيضاء، 2013م.

[8] همام، محمد، حوارات من أجل المستقبل للدكتور طه عبد الرحمن، مجلة إسلامية المعرفة، السنة السادسة: العدد 23، الرباط: منشورات الزمن، 2000، ص 145-146.

[9] البطاري، رجاء، مجلة إسبوعية "مغرب اليوم"، العدد 219، المغرب- الدار البيضاء، 2013م.

إنّ مفكراً بهذه الدقة الفكرية لن تفوته دقة العطاء الأكاديمي والتفاني من أجله على الرغم مما يعتريه من ضعف صحي؛ لأنه يرفع شعار: إمكانية التأمل والتفكير وإن تسارع الزمان أو تعددت ظروف المكان[10]، فللفكر والعقل عنده دائماً متسع.

ويقول عنه أحد تلامذته وهو الإعلامي عزيز المجذوب:"ما زلت أذكر السنة والنصف التي درسني فيها بشعبة الفلسفة بالرباط، أذكر كيف كان يتحرك طه عبد الرحمن في قاعة الدرس، ويلقننا بكل جوارحه دروس المنطق...، بل وفي كثير من الأحيان كان ينتابه دوار بفعل الأدوية التي كان يتناولها جراء تدهور حالته الصحية، فيتكئ على طاولة فنشفق على حاله لكنه يصر على مواصلة الدرس بكل إخلاص وتفان، ناقلاً إياه بجل اللغات الحية التي يجيدها الفرنسية والإنجليزية والألمانية وحتى اليونانية بشكل يربطنا فعلاً بمنابع الفلسفة في بلاد الإغريق"[11].

وبعد الاستقراء الجاد للوقوف على مؤلفات هذا المفكر المعاصر، تبين أنّ له ما يتجاوز العشرين مؤلفاً في النوع والعمق، فهي مؤلفات ذات موضوعات متعددة متعلقة بـ: الحداثة، والمنطق، والفلسفة، والتجديد ...، وأبرزها الآتي، مرتبة هجائياً:

1. بُؤس الدَّهْرانية: في النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين.
2. تجديد المنهج في تقويم التراث.
3. الحداثة والمقاومة.
4. الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري.
5. حوارات من أجل المستقبل.
6. الحوار أُفُقًا للفكر.
7. رسالة في البنيات اللغوية لمبحث الوجود (بالفرنسية).
8. رسالة في منطق الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه (بالفرنسية).
9. روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية.
10. رُوح الدين: من ضيق العَلمانية إلى سعة الائتمانية.
11. سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية.
12. سؤال العمل: بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم.
13. العمل الديني وتجديد العقل.
14. فقه الفلسفة.
15. الفلسفة والترجمة.
16. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام.
17. القول الفلسفي.

---

[10] البطاري، رجاء، مجلة إسبوعية "مغرب اليوم"، العدد 219، المغرب- الدار البيضاء، 2013م.

[11] البطاري، رجاء، مجلة إسبوعية "مغرب اليوم"، العدد 219، المغرب- الدار البيضاء، 2013م.

18. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي.
19. اللغة والفلسفة.
20. المفهوم والتأثيل.
21. المنطق والنحو الصوري.

المحور الثاني:الإطار المفاهيمي للبحث

يعنى هذا المحور ببيان ضرورة تجديد المنهج في بناء المصطلحات عند المفكر طه عبد الرحمن، بالإضافة إلى بيان مفهوم الأسرة، ومصطلحات أخرى ذات صلة.

أولاً: ضرورة تجديد المنهج في بناء المصطلحات

تتحدد هوية الأمة الحضارية في قدرتها على بناء المصطلحات، أو إعادة إنتاجها بما يحافظ على معالمها ويمكنها من استمرار الازدهار، ولكن الواقع الذي تحياه أمتنا أصبح مدعاة لأن تتعالى الأصوات المنادية بضرورة العودة إلى الذات الحضارية، وفهمها من الداخل، بعد تبين إخفاق محاولات التحديث الخارجي[12]،وما ارتبط بها من تيه فكري.

يرى المفكر طه عبد الرحمن أنّ أحد السبل بالغة الأهمية في الخروج من التيه الفكري الذي أصاب العقول، ضرورة إعادة بناء المفاهيم وإنتاجها، سيما المنقولة منها، بعيداً عن التدنيس المطلق أو التقديس المطلق، باعتبار الأخيرين حدين قاطعين لسمة الإبداع الفكري، وتبلور نظريات واضحة قادرة على التعامل مع تحديات العصر ومشكلاته.ومن التيه الفكري حسب رؤى المفكر أن كثيراً من المحاولات والمشاريع لإعادة قراءة التراث العربي تنتهي تارة بالانقلاب على التراث أو تشويهه تارة أخرى[13]، وقد أسس المفكر لمشروع تقويم التراث العربي الإسلامي وقدمه بكتاب "تجديد المنهج في تقويم التراث"، وله طبعتان 1994م و 2001م.

كما ويؤكد ثلة من المفكرين أيضاً على ضرورة الاهتمام ببناء المصطلحات التراثية وغيرها؛لما لها من دلالات مفاهمية تسهم في تشكيل الذات الحضارية، وتهيئ للشهود الحضاري للأمة المستلهم من قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...] (البقرة:143)، كما تعد المصطلحات المدخل الرئيس للتمكن من الفهم السليم لدلالات المصطلح، والقدرة على النقد القويم الذي يبنى عليه الاقتراض الحضاري للمصطلحات أمام ما يسمى "الطوفان المفاهيمي"[14] لكثير من المصطلحات الوافدة، ومنهجية التعامل معها.

---

[12] الأنصاري، محمد جابر، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة، تشرين الثاني 1980م، ص6.

[13] للاستزادة والاطلاع ينظر: عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994م، ص11.

[14] البوشيخي، الشاهد، نظرات في المصطلح والمنهج، فاس-المغرب، مطبعة آنفو-برانت، ط4، 2002م، ص11، 21.

إنّ قضية المنهجية في التعامل مع المصطلحات كثيراً ما ينبه على خطورتها؛ لما لها من أثر في صياغة وبناء العقل الإسلامي في الواقع المعاصر[15]، سيما وأنه لاتغفل أهمية بناء المصطلحات بصورة واضحة لترسيخ الدلالات المفاهيمية لها على مراد أهلها.

ثانياً: مفهوم الأسرة عند طه عبد الرحمن ومصطلحات ذات صلة

إنّ العاكفين على بيان المصطلحات والمفاهيم وإيضاحها تحروا تقديم تعريفاتهم الإيضاحية بطريقتين هما: التعريف بالحد أو التعريف بالرسم، وإن كان تقديم التعريف بالحد أولى؛ من حيث أنه يعرف الشيء بذكر ذاتيته الخاصة وبما يخرج منه غيره، وهو ما اصطلح عليه التعريف الجامع المانع.

ومن زاوية أخرى للنظر إلى التعريف بالحد أو بالرسم، فقد تتحدد أولوية أحدهما بطبيعة العلم أو المجال محل الإيضاح والبحث، وإن كانت أفضلية أي تعريف مقرونة بقدرته على إبراز ميزات المُعَرّف وما يدل عليه.

يعرف المفكر الأسرة أنها:"المحل الذي يتعلق فيها الإنسان بغيره تعلق نسب ويتخلق فيها بحسب هذا التعلق"[16]،يتضح من تعريف المفكر للأسرة أنه تعريف وظيفي، يعني بإبراز مهمتها الأخلاقية بالدرجة الأولى، والتي تضفي إلى اجتماع الأفراد بعضهم ببعض صفة الرقي الإنساني، ويبرز هذا في قوله: "فالأسرة هي إذن منشأ العلاقة الأخلاقية بين الناس بحق بحيث لا علاقة إنسانية بغير أخلاق ولا أخلاق بغير أسرة"[17].

وفي تعريف المفكر وقفة تربوية تشير إلى المعنى السامي للأسرة التي ابتدأها الله تبارك تعالى بآدم وحواء عليهما السلام، وأسس لها القيم التي ترقى بالسلوك الإنساني في تعامله مع الآخر(السكينة، والمودة والرحمة) والتي أشارت إليها الآية الكريمة: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (الروم:21).ومما لا يخفى أنّ الشعار الذي رفعته التربية الإسلامية حسب رأي مفكريها هو "تنمية السلوك الإنساني وترقيته"[18]، والذي تتحقق به السعادة الإنسانية التي باتت مطلباً عالمياً في ظل التحديات والحروب التي تحياها البشرية اليوم.

يقوم تعريف الأسرة عند المفكر طه عبد الرحمن على عنصرين رئيسين[19]:

1- **العلاقة النسبية**: والتي تعني باجتماع الأفراد، وهي على ضربين:

أ- **الأصل**: العلاقة الزوجية.

ب-**الفرع**: باقي العلاقات الأسرية: علاقة الأبوة، الأمومة، البنوة، الأخوة.

2- **الأخلاق**: وهي التي تمنح العلاقة النسبية بأصلها وفروعها صفة الإنسانية، وهي كذلك على ضربين:

أ-**الأصل:** الأخلاق الزوجية.

ب- **الفرع:** باقي الأخلاق المطردة في العلاقات النسبية الفرعية.

---

[15] الأنصاري، فريد، أبجديات البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التأصيل المنهجي، القاهرة-مصر، دار السلام، ط1، 2010م، ص26.

[16] عبد الرحمن، طه، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م، ص99.

[17] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص100.

[18] الكيلاني، ماجد، فلسفة التربية الإسلامية، عمان-الأردن، دار الفتح، ط1، 2009م، ص33.

[19] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص99-100.

وبالإمكان الإضافة إلى ركني تعريف الأسرة عند المفكر ركن آخر، وهو ما برز في التعريف كذلك، وهو ركن التعلق، ولعلي بذلك أشير إلى الفرق بين التعلق والاجتماع،فبالرجوع إلى معاني التعلق في اللغة العربية، نجد الآتي[20]:

-يقال تعلق الشوك بالثوب إذا نشب فيه واستمسك.

- والعلاقة ما تعلق بالإنسان من مال وزوجة وولد، يقال: ما بينها علاقة، أي شيء يتعلق به أحدهما على الآخر، والعلاقة جمعها علائق وتعني الارتباط والحب.

-ويقال تعلق بفلان: هويه وأحبه ومال إليه قلبه، وأصبح يطلق على النفيس من كل شيء لتعلق القلب به.

- والمعلَّقة: هي المرأة التي فقدت زوجها فهي لا متزوجة ولا مطلقة.

في حين أن الاجتماع يطلق على ضم الأجزاء المتفرقة بعضها لبعض، يقال: انجمع الشيء إذا انضمت أجزاؤه وتقاربت أفراده[21].

يلاحظ من المعاني السابقة دقة استعمال المفكر للفظ التعلق في تعريف الأسرة؛ إذ فيه من المعاني الإيجابية للقاء بين الأطراف من تماسك ومودة، وارتباط أحدهما بالآخر وما يتبعه من تكامل وظيفي، يبرز حقيقة التفصيل الموجه الذي أراده المفكر، والذي هو تفصيل وظيفي لا بنيوي.

كما أنّ في التعلق الأسري وحميميته ما يتجاوز حدوده الحسية إلى غائية القلوب والفكر[22]، وهذه الأخيرة ركيزة مهمة في الإعانة على تحقيق العبادة التي خلق الإنسان من أجلها وعمارة الأرض، وبذلك ندرك قوله تعالى: [وما خلقت الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] (الذاريات: 56)، وقوله تعالى: [...هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...] (هود: 61).

تعريف الزوجية عند المفكر

يعرف المفكر الزوجية أنها: "العلاقة التي تشمل كل اقتران بين رجل وامرأة سواء أصحبه عقد أم لم يصحبه"[23].

تعريف الزواجية عند المفكر

يعرف المفكر الزواجية أنها: "العلاقة التي لا تصدق إلا على الاقتران بين الرجل والمرأة الذي يتم بمقتضى الأحكام والقوانين المقررة في مدونات الأحوال الشخصية"[24].

يتضح من تعريف المفكر للزوجية والزواجية أنالأول أعم، والثاني أخص، وأن الاعتبار القيمي إنما يكون للزواجية دون غيرها، باعتبارها الأصل الإنساني في الاقتران بين الرجل والمرأة.

تعريف تطبيع الإنسان عند المفكر

يعرفه المفكر أنه: "تحويل الإنسان إلى شيء طبيعي خاضع للقانون المادي الذي لا اعتبار فيه للقيمة ولا المقصد"[25].

---

[20] دار المشرق، المنجد في اللغة والأعلام، بيروت-لبنان، دار المشرق، ط29، 1986م، ص526.

[21] دار المشرق: المنجد في اللغة والأعلام، مرجع سابق، ص101.

[22] الرفاعي، سميرة، المضامين التربوية والبيانية في الآيات المتعلقة بالدراسات الأسرية، ورقة بحث مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي "التجديد في الدراسات القرآنية"، جامعة ملايا، كوالالمبور-ماليزيا، 18-19تشرين الثاني، 2014م، ص7.

[23] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص100، بتصرف يسير.

[24] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص100، بتصرف يسير.

[25] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص112

يتضح من تعريف المفكر أنه مرة أخرى ينظر من عيون نظرية التفصيل الموجه، التي تربط السبب بالمثل الأعلى الأخلاقي،أما التفصيل المطلق الذي يبنى عليه التطبيق الحداثي الغربي فإنه يفصل الأسباب عن مثلها العليا؛ مما يدني مرتبة الإنسان عن الكمال الإنساني، من كونه إنسان يصبح شيئاً كالسلعة يعلّب أو يباع ويشترى.

إنّ تطبيع الإنسان حدث جراء الإصرار في فصل السبب عن مثله الأخلاقي في السلوك الإنساني، وذلك بالإصرار على نسيان وتجاهل المثل والحفاظ على السبب[26]، والذي أصبح يبرز فيما بعد على شكل أسباب موضوعية منفصلة عن مثلها الأخلاقية في تفسير السلوك الإنساني، مشكلات وتحديات.

المحور الثالث: أخلاقيات الأسرة في روح الحداثة الغربية ومرتكزاتها

قد يستغرب القارئ من استخدام لفظ روح الحداثة بدلاً من الحداثة فهل هما مصطلحان مترادفان أم غير ذلك؟

إنّ المفكر في جولاته الاستقرائية لمعنى الحداثة، وجد أنّ تعريفاتها تعددت وتنوعت، بين من اعتبرها أنها حقبة تاريخية ابتدأت في العالم الغربي ثم امتدت إلى العالم بأسره، وبين من عرّفها بصفات قوة العطاء التي صبغت هذه الحقبة مثل التقدم والتحرر وغيرها، وعليه رأى المفكر أنّ الحداثة لا زالت مشروعاً لم يكتمل بعد[27]، ورؤيته هذه تتوافق أيضاً مع ما ذهب إليه الفيلسوف الألماني (هابر ماس) عند حديثه عن الحداثة وما بعد الحداثة[28].

وفي ضوء ما سبق نحت المفكر الفرق الاصطلاحي والواقعي بين روح الحداثة والحداثة[29]، وبذلك تعني روح الحداثة: ما ينبغي أن يكون عليها لأمر (الجانب التنظيري)، أما واقع الحداثة: فهو واقع التطبيق لروح الحداثة (الجانب العملي).

فروح الحداثة: سيرورة فكرية طويلة (تراكمية) مركبة من جملة من المبادئ، وهي ثلاثة مبادئ (النقد، الرشد والشمول) لكل مبدأ منها ركنين يقوم بهما، وكل ركن يستند إلى مسلمات سماها المفكر "مسلمات التطبيق"[30]، يستند إليها تطبيق كل ركن من الأركان.

بالإمكان تلخيص مبادئ روح الحداثة بما يأتي[31]:

- **مبدأ الرشد**: والذي يراد به في روح الحداثة الانتقال من حال القصور(التبعية) إلى حال الرشد، ويقوم على ركنين هما الاستقلال والإبداع.

---

[26] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص112.

[27] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص23.

[28] يراجع: - الرفاعي، سميرة، المؤثرات الفكرية على التربية الأسرية وسبل مواجهتها: تيارات الداروينية الاجتماعية وقيم ما بعد الحداثة نموذجاً، ورقة بحث غير منشورة، مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي "الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة"، عمان-الأردن، 9-11 نيسان، 2013م، ص7-8.

- أفاية، محمد نور، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابر ماس، الدار البيضاء-المغرب، دار إفريقيا الشرق، دط، 1993م، ص121.

[29] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص19، 24.

للاستزادة: عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص24-30، 35.

[30] للاستزادة: عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص24-30، 35.

[31] للاستزادة بالتفاصيل: عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص24-54.

- **مبدأ النقد:** ويراد به الانتقال من حال الاعتقاد (بلا دليل) إلى حال الانتقال بالمطالبة بالدليل، ويقوم على ركنين هما التعقيل والتفصيل، وهذا الركن الأخير هو مدار البحث الحالي.
- **مبدأ الشمول:** والذي يراد به الإخراج من حال الخصوص إلى حال الشمول، سواء خصوص المجال أم المجتمع، ويقوم على ركنين هما التوسع والتعميم.

وفي ذلك يقول المفكر: "فإنّ روح الحداثة هي روح راشدة ناقدة شاملة أو على وجه التفصيل إنها روح مستقلة ومبدعة وعاقلة وفاصلة وواسعة وعامة"[32].

وبعد العرض السابق لمبادئ روح الحداثة، لابد من الإشارة إلى علاقتها بالأخلاق المنظمة للحياة، وقد تبين أنّ قطع صلة الأخلاق بالمعتقدات الدينية أو سلطة الكنيسة يعد من أبرز ميزات عصر الحداثة[33]، واستبعاد تلك الأخلاق عن الترغيب في النعيم أو الترهيب من الجحيم،على اعتبار أن الأخلاق التي تحكم الأسرة في الأطوار السابقة كان مرجعها الدين، والتي أسموها الأسر التقليدية.

وعند المفكر هناك ثلاثة مبادئ كرست جهود الساعين لفصل الأخلاق عن الدين، تمثلت بمبدأ التوجه إلى الإنسان، والتوسل بالعقل والتعلق بالدنيا[34]، وفي ذلك يقول المفكر:"اشتغل أرباب الحداثة الغربية بإنشاء أخلاقهم اللادينية البديلة عن الأخلاق الدينية والتي يتهمونها بكونها غير إنسانية وغير عقلانية وغير دنيوية حتى نفوا الأخلاق عن الدين وأثبتوها للادين وحده"[35]، والتي سميت أخلاق الحداثة(الأخلاق اللادينية)، والتي تعين العمل بها في كافة مؤسسات المجتمع،وأولاها وألصقها الأسرة، وهو ما سيتم تفصيله في هذا المحور.

أولاً: أخلاق المروءة والتوجه إلى الإنسان

يعني مبدأ التوجه إلى الإنسان وحده عند الحداثيين باختصار: الانفصال عن الإله، حيث يترك الإنسان التوجه في تصرفاته إلى الإله، ويتوجه إلى الإنسان وحده، أي الإقصاء لما لم يذكره المبدأ، فهي النظرة الإقصائية لغير الإنسان ولو كان الإله.

إنّ هذا المبدأ الانفصالي الأول تفرع عنه ما يسمى بأخلاق المروءة، والتي تقتضي نقل الإنسان الحداثي" من مقام الفردية المجردة إلى مقام المروءة المشخصة"[36]، والذي يشير إلى قدرة الإنسان على الإصلاح الأخلاقي داخل أسرته؛ لأنّ أخلاق المروءة تمكنه من صفات ثلاث هي[37]:

- المعاملة الغائية.
- النسبة الجماعية.
- والهوية الخاصة.

---

[32] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص29

[33] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص100.

[34] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص100-101.

[35] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص102.

[36] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص104.

[37] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص103.

وبذلك لا أحد يقوم مقامه أو يحل محله في أدائه لدوره المنوط به والمخصوص به، في الإصلاح الأخلاقي لأسرته، بوجوده مع غيره مع تمايزه عنهم جنساً ودوراً (وظيفة).

ثانياً: أخلاق الإلزام والتوسل بالعقل

يعنى مبدأ التوسل بالعقل عند الحداثيين: إعادة الاعتبار للعقل وحده باعتباره سلطان داخلي لا يحتاج معه إلى أي سلطان خارجي، وبذلك يعني إقصاء الوحي واستبعاده عن إرادة الإنسان وتوجيه سلوكه.

ومن أبرز مظاهر إعادة الاعتبار للعقل واعتباره قيمة جوهرية، ما يأتي[38]:

- الحرية الراشدة.
- الواجب الخالص.
- والحق الثابت.

وبذلك يتسم العمل المنبثق عن مبدأ التوسل بالعقل،أنّ الواجب فيه قيمة خادمة للحق، وهو ملزم الوجود في كل حق ثابت للإنسان، وعليه فإن أفراد الأسرة يتفانى الواحد فيهم في أداء سائر واجباته بإخلاص مطلق، لا يبتغي من ورائها منفعة شخصية،إلا إقرار ثبوت الحق وما يرتبط به من إلزام الواجب، وهو ما يسمى بأخلاق الإلزام المتفرعة عن المبدأ الانفصالي الثاني (التوسل بالعقل).

تعد إعادة الاعتبار للعقل سابقة الذكر فرع عن تصور تبعية الدين للأخلاق في الفلسفة الغربية الحديثة والأساس لنظريتهم الأخلاقية، فمصدر الأخلاق هو الإرادة الخيرة للإنسان-المنبثقة من ذاتها لا من إرادة عليا- المنضبطة بالعقل الخالص وحده،والذي لا تتعلق به إلا الأفعال التي تأتي بصورة الواجب، حيث تعد هذه الأفعال (الواجبات) غاية في ذاتها لا وسيلة إلى شيء آخر، أي بعيدة عن حظوظ النفس ومصالحها، إذ مصدر تلك الحظوظ الهوى، وهذا الأخير نقيض العقل الخالص؛ مما جعلها واجبات لا اعتبار فيها للمنافع المادية،أو المعنوية في الطمع بالثواب أو الخوف من العقاب،وإنما هو فعل الواجب لذات الواجب، وهو ما يسمى "الخير الأسمى"[39].

ثالثاً: أخلاق السعادة والتعلق بالدنيا

إن مبدأ التعلق بالدنيا يعني:إعادة الاعتبار إلى الحياة الدنيا، وتقدير منافعها المادية، ولا حاجة للدوران في فلك غيرها، بما يعني إقصاء الآخرة باعتبارها أساطير وخرافات عكفت الكنيسة على غرسها في عقول الناس لإحكام السيطرة عليهم.

وتجلت مظاهر هذا الاعتبار بعدة صفات، منها[40]:

- السعادة الخاصة باعتبارها حقا طبيعياً.
- السعادة الخاصة باعتبارها ثمرة من ثمرات الواجب.
- السعادة الخاصة باعتبارها موافقة للسعادة العامة.

---

[38] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص105.

[39] عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م، ص35-37.

[40] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص107-109.

إنّ الأخلاق الأسرية التي يورثها العمل بمبدأ التعلق بالدنيا كما يقول المفكر: "أخلاق السعادة التي هي قوام الحياة الطيبة وتجلت السعادة في الأسرة الحداثية الغربية في كون الأسرة أضحت تشكل محلاً للهناء لا محلاً للبقاء كما كان الشأن في الأسرة التقليدية"[41].

يلحظ بعد التفصيل السابق، أنّ كل مبدأ انفصالي من مبادئ فصل الأخلاق عن الدين، يؤمل أن يتفرغ عنه خلق من أخلاق الحداثة (الأخلاق اللادينية)، والتي ينبغي العمل بها داخل الأسرة، فجراء الانفصال عن الإله والتوجه إلى الإنسان تبرز أخلاق المروءة، وجراء الانفصال عن الوحي والتوسل بالعقل تبرز أخلاق الإلزام، وكنتيجة للانفصال على الآخرة والتعلق بالدنيا تبرز أخلاق السعادة، ولكن ليس من الضروري أن تتطابق التوقعات المأمولة مع المعمول به على أرض الواقع، فقد ينقلب المقصود إلى ضده، وقد ينقلب الأمل إلى تحد ومعضلة تحتاج إلى حل، وهذا ما سيتم بيانه في المحور الرابع.

وبالإمكان تلخيص أخلاقيات الأسرة في روح الحداثة بالمخطط الآتي:

[41] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص109.

المحور الرابع: التحديات الأخلاقية في واقع الأسرة الحداثية وما بعد الحداثية في ميزان التفصيل الموجه في التطبيق الحداثي الإسلامي

إنّ عنوان المحور يشد القارئ لإيضاح معنى التفصيل الموجه عند المفكر، إنه التطبيق الإسلامي لركن التفصيل من أركان روح الحداثة، والذي يعنى بالتفصيل الوظيفي-وليس البنيوي أو الجوهري- الموجه للعلاقات الأسرية، والعلاقة بين الأسباب الموضوعية للظاهرة السلوكية ومثلها الأخلاقية، الذي يضمن استبعاد انقلاب المقصود إلى ضده؛ لأنّ الأصل في الأشياء الاتصال ولا يصار إلى غيرها إلا بدليل، وقد وردت هذه الأفكار في أكثر من سياق وموضع في كلام المفكر،بالإمكان الرجوع إليها للاستزادة[42].

كما أنّ التفصيل الموجه يؤكد على ترقية الإنسان وتنميته بعيداً عن تنشيئه وتطبيعه، الذي ينزله رتبة دون الإنسانية الحقة المقصودة من قوله تعالى:[وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ...] (الإسراء:70) وقوله تعالى: [فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِمِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ] (ص:72).أما التفصيل الموجه إذ يؤكد ترقية الإنسان، فإنه لا يفتأ في السلوك الإنساني يربط السبب بمثله الأخلاقي الأعلى، الذي كان دافعاً وموجها لذلك السبب، والذي يتحقق في شواهد متعددة، يختار منها الشاهد الأمثل في أعلى رتبية محققة للرقي الإنساني.

وبذلك يعرف المفكر المثل الأعلى الأخلاقي أنه: "هو تصور ما يكون أفضل وأكمل وأولى للإنسان أن يتبعه في سلوكه حتى يخرج من حاله ويرتقي بها درجة"[43]، وعرف الشاهد الأمثل أنه: "الشاهد الذي يتحقق فيه المثل الأعلى الأخلاقي على أكمل وجه والذي بدون إدراكه ومراعاته لا يمكن أن تستقيم الوظيفة الأخلاقية لكل واحدة من القيم الأخلاقية لأسرة الحداثة"[44].وبالإمكان تصور الفكرة التي أرادها المفكر في مقصوده بالتفصيل الموجه في التطبيق الحداثي الإسلامي، مقارناً بالتفصيل المطلق في التطبيق الحداثي الغربي، بما يأتي:

---

[42] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص99، 112، 138-139.

[43] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص112.

[44] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص113 بتصرف يسير.

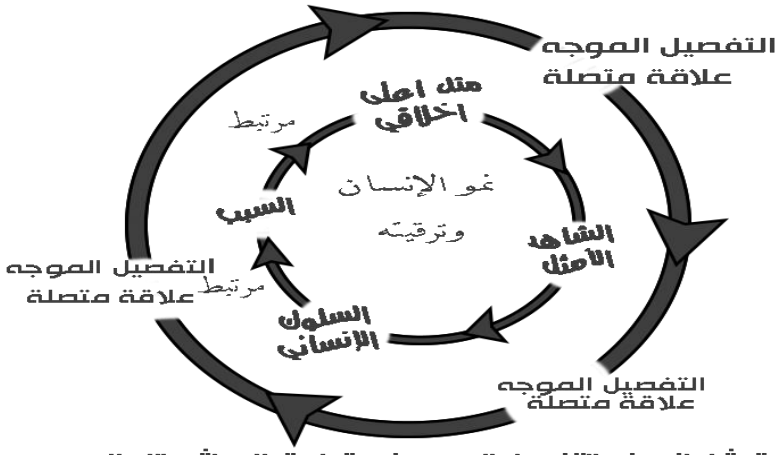

تمثيل لنموذج التفصيل الموجه في تطبيق الحداثي الإسلامي

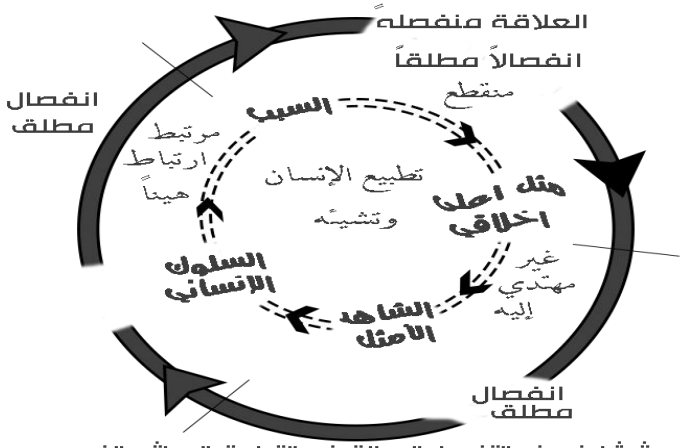

تمثيل نموذج التفصيل المطلق في التطبيق الحداثي الغربي

وقد بنى المفكر نموذج التفصيل الموجه للتطبيق الحداثي الإسلامي، في الرد والنقد للنموذج الحداثي الغربي في الانفصال المطلق أو الجوهري،وجراء هذا النموذج الأخير برزت التحديات الأخلاقية في الأسرة ما بعد الحداثية، وتعني التحديات الأخلاقية انقلاب القيم الأخلاقية في الأسرة الحداثية إلى خلاف مقصودها في الأسرة ما بعد الحداثية، حيث انقلبت المروءة في الأسرة الحداثية إلى الإمّعيّة في الأسرة ما بعد الحداثية، والإلزام في الأسرة الحداثية إلى الحظيّة في الأسرة ما بعد الحداثية، والسعادة في الأسرة الحداثية إلى اللعب في الأسرة ما بعد الحداثية، وهو ما سيتم تفصيله في كل محور من المحاور الآتية.

وإنما خصت التحديات الأخلاقية؛ على اعتبار أن الأخلاق هي ما يضفي على الاجتماع الإنساني في الأسرة وغيرها صفة الإنسانية -وهذا ما ظهر في تعريف المفكر للأسرة- فكانت تلك التحديات محل البحث والنظر.

أولاً: انقلاب المروءة في الأسرة الحداثية إلى الإمّعيّة في الأسرة ما بعد الحداثية

سيتم هنا التذكير بمعنى المروءة ثم الانتقال إلى المعنى المضاد لها وهو الإمّعيّة، ببيان رأي المفكر فيها، وأبرز خصائصها ومظاهرها في الأسرة ما بعد الحداثية، ثم خلاصة الرأي ببيان سبب الانقلاب الأخلاقي في المروءة (في الأسرة الحداثية)إلى الإمعية (في الأسرة مابعد الحداثية)، تماشياً مع طريقة المفكر في النقد البناء.

إذا كانت المروءة في الأسرة الحداثية تعني: "حفظ الخصوصية الأخلاقية لأفرادها"[45]بما يمكّن كلاً منهم بقدرته على القيام بالإصلاح والرقي الأخلاقي لأسرته، في إطار التكامل في الأدوار الوظيفية المنوطة بكل فرد منهم، في استقلال وظيفي وتكامل في النسبة الجماعية، أي وجود لشخصه معترف معه بشخص غيره.

إنّ التكامل الوظيفي في الأدوار بين الرجل والمرأة يحقق التوازن المنشود في استقرار الأسرة وقوة علاقاتها، وبذلك ندرك الحكمة في قول النبي (صلى الله عليه و سلم): «إنما النساء شقائق الرجال»[46]، ويقول محمد الغزالي: "الأسرة هي المأوى الطبيعي لكلا الجنسين والمستقر الوحيد الذكي لعلاقتهما إن الإنسان وحده نصف، ما يبلغ تمامه إلا إذا انضم إليه نصف آخر"[47].

أما في باب التأكيد التربوي على المهمة الأخلاقية التي يضطلع بها الوالدان في تربية أبنائهم على الأخلاق، يقول أبو حامد الغزالي: "أعلم أنّ الطريق في رياضة الصبيان-أي تربيتهم- من أهم الأمور وأكدها، والصبي أمانة عند والديه ... وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعلمه نشأ عليه، وسعدفي الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه والولي له، وقد قال الله" [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وأهليكم نَارًا"] (التحريم: 6)، ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا فَبِأن يصونه عن نار الآخرة أولى. وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء"[48].

على الرغم مما سبق الحديث عنه من الأهمية التربوية للتكامل في الأدوار والوظائف الأسرية، ولاسيما الأخلاقية منها، إلا أنّ الأمل لم يطل في المروءة التي تاقت إليها الأسرة الحداثية حتى انقلبت في وليدتها (الأسرة ما بعد الحداثية) إلى الإمعية، حيث تعني الأخيرة "فقدان الخصوصية الذي لا صلاح معه"[49]، أي فقدان الفرد في الأسرة قدرته على الإصلاح الأخلاقي لتحقيق الرقي الإنساني.

ومن أبرز خصائص الإمعية ما يأتي[50]:

- **التبعية**، وتعني الإمعية هنا: " الفرد من الأسرة الذي أضاع دوره الأخلاقي الخاص وأخذ يقوم بدور غيره في تبعية له أو يقوم غيره بدوره في تسلط عليه-أوبإيجاز أضاع مروءته- بحيث يفضي هذا الوضع إلى اختلال المهمة الأخلاقية للأسرة وانفكاك العلاقات الأخلاقية بين أفرادها فالإمعية إذن آفة تدخل على الأسرة متى تخلى أحد أفرادها عن واجبه الأخلاقي أو قل متى ذهبت عنه مروءته"[51].
- **الميوعة**: لم تقف الإمعية الأسرية عند حد معين بل أصبحت بلا حدود.
- **الإمعية القانونية:** أصبح القانون تبعاً للواقع بدلاً من أن يكون الواقع محكوم به وتابع له، حيث قننت التبعية لتأخذ سمتها الرسمية في المجتمع من غير إنكار من أحد.

---

[45] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص114.

[46] الألباني، محمد ناصر الدين،صحيح سنن أبي داود، الكويت، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط1، 2002م، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه، ج1، ص431، حديث رقم 237. وقال الألباني: حديث صحيح من طريق أنس.

[47] الغزالي، محمد، هذا ديننا، الدوحة-قطر، دار إحياء التراث الإسلامي، دط، 1983م، ص158.

[48] الغزالي، أبو حامد، رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب، تحقيق: حمود بيجو، دمشق-سوريا، دد، دط، 1992م، ص55.

[49] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص114.

[50] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص114-115.

[51] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص114.

أما عن مظاهر الإمعية، فأبرز ما تجلت به مظاهر الإمعية في الأسرة الغربية هو الزوج، الذي انفصل عن أصل أدواره الأسرية التي مكن بها سابقاً، والمتمثلة بما يأتي[52]:

- إلغاء سلطة الأب: حيث أصبحت إدارة شؤون البيت والأولاد سمة مشتركة بين الزوجين، لا تفرد لأحدهما بها.
- إنهاء تحكم الأب في النسل؛ لأنّ الزوجة أصبحت شريكاً له في ذلك.
- إنهاء الصفة النموذجية للأب، لينتقل من سلطة المربي النموذج إلى الموجه المطيع، التابع لرغبات أبنائه، وعبر وسطاء النفس والإرشاد النفسي.
- التفريق بين الأب والابن: إنّ السياق الاجتماعي الذي فتح الباب للسفاح الأسري ومعاملته كأنه زواج شرعي، فرض ضرورة الضغط على التقليل من المرجعية الأبوية في تربية الأبناء،والتركيز على قدرات الأبناء الهائلة في التكيف مع مستجدات ما أسماه المفكر "الأسرة المعاد تركيبها"[53].

ولبيان خطر الإمّعية وما تولده من ميوعة في الأدوار الوظيفية،وعدم وجود حدود فاصلة لأن يعلم كل فرد في الأسرة ما له وما عليه، حذر النبي (صلى الله عليه و سلم) من مجرد الاقتباس والميوعة الشكلية بين الرجل والمرأة، المخرج لأحدهما عن خصوصيته النوعية ومن باب أولى الوظيفية، حيث: «لعن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) المتشبهين من الرجل بالنساء والمتشبهات من الناسء بالرجال»[54]، وفي رواية:«لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»[55]، ومن المعلوم أن اللعن في النصوص الشرعية موجب للذم والحرمة.

ولكي تتجاوز الأذهان المعنى الشكلي في التشبه بمجرد اللباس والزينة إلى نفي الخصوصية واختلاط الحدود،الموصل إلى التحول للتشاكل الوظيفي برأي الباحثة -إن صح التعبير- بدلاً من التكامل الوظيفي،والذي تعد محاولة التشبه بالتصرفات والأفعال والمقارنات جزء من ذاك التحول اللا محدود؛ لذا: «لعن النبي (صلى الله عليه و سلم) المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال: أخرجوهم من بيوتكم»[56]،أما التخنث فهو التكسر والتلين، والمخنث هو الذَّكَر الذي يتشبه بكلامه وتصرفاته بالنساء.

إن التوجيهات الربانية لتنظيم الأدوار الوظيفية في العلاقات الأسرية لم تقف عند حد حفظ خصوصية تلك الأدوار وتكاملها في آن واحد، بل تتسع إلى ما يسمى بـ(النيابة). إن حق النيابة يعده البعض من حقوق الزوج في حال غيابه، حيث تنوب عنه زوجته في تحمل مسؤولياته مضافاً إلى مسؤولياتها لحين عودته؛ لضمان استقامة البناء الأسري واستمراره، وهذا من أسرار نجاح الأنظمة الإدراية في إصرارها على وجود نائب للمسئول الأول[57]، وبذلك ندرك الحكمة في قول

---

[52] للاستزادة: عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص116-117.

[53] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص134.

[54] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دم، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج7، ص159، حديث رقم8585، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال.

[55] ابن حنبل، أحمد أبو عبدالله الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دم، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م، ج5، ص243، حديث رقم3150، كتاب مسند بني هاشم، باب مسند عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط البخاري.

[56] البخاري:صحيح البخاري، مرجع سابق، ج7، ص159، حديث رقم8586، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال.

[57] الأسمر، أحمد رجب، النبي المربي، عمان-الأردن، دار الفرقان، ط1، 2001م، ص190.

النبي (صلى الله عليه و سلم): «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده»[58].

بعد الجولة التربوية السابقة يعرج بنا المفكر طه عبد الرحمن على بيان سبب الانقلاب في المروءة إلى الإمعية،وتراه يجيب عليها من منظور التفصيل الموجه، فإنّ السبب يكمن في الانفصال المطلق بين السلوك ومثله الأعلى الأخلاقي؛ لتعذر الأخير في التعرف على شاهده الأمثل،جراء المسلّمة البنيوية التي انطلقت منها المروءة المزعومة، وهي مبدأ التوجه إلى الإنسان وإقصاء الإله، وهو ما سيتم بيانه.

ونرجع إلى الوراء قليلاً بقضية العهد الذي استهلته الحداثة بانفصال الأخلاق عن الدين، لبناء الأخلاقية الحداثية (اللادينية) ومبدأ التوجه إلى الإنسان، والتوسل بالعقل، والتعلق بالدنيا، فكل مبدأ توسل به لبناء قيمة ذات مغزى أخلاقي ومردود سلوكي بتربية الإنسان، فقد أريد من مبدأ التوجه إلى الإنسان بناء قيم المروءة، ومن التوسل بالعقل بناء قيم الإلزام، ومن التعلق بالدنيا بناء قيم السعادة،إلا أنّ المقصود في الأسرة الحداثية انقلب إلى ضده في الأسرة ما بعد الحداثية.

فبنظر التفصيل الموجه أنّ المروءة المبينة على مبدأ التوجه إلى الإنسان وإقصاء الإله، هي أضعف من أن تكون وثيقة الصلة بمثلها الأخلاقي الأعلى وهو المعية الرافعة، والتي تعني: "المعية التي يرتقي فيها المعي برتبة من هو معه... وتحصل متى طلب المعي في معيّه هويته عند تلبسها بالقيم الروحية التي تعلو بها إلى مقام أعلى"[59]، ولما لم تستطع التطلع إلى المعية الرافعة، فإنّ الأخيرة لا يمكن إدراكها أو التعرف عليها إلا بإدراك وعلم شاهدها الأمثل وهو التعالي، والذي يعني: "الرفع للكيان مع ارتفاع المجانسة وثبوت المغايرة"[60]، وهذا الأخير لا يتعرف عليه مع إصرار إقصاء الإله والتوجه إلى الإنسان؛ فكان أن حل مكان المعية الرافعة المعية الخافضة كمثل أخلاقي أعلى، والتي تعني: "المعية التي ينزل فيها المعي برتبة من هو معه... وتحصل متى طلب المعي في معيه هويته عند تلبسها بالقيم المادية الخالصة أي مجردة من القيم الروحية التي تعلو بها إلى مقام أعلى"[61]، وتعذر الاهتداء إلى الشاهد الأمثل وهو التعالي من بابأولى، فكان من الطبيعي أن تنقلب المروءة التي تعنى بإقرار الخصوصية إلى ضدها وهي الإمعية، التي باتت إنكاراً لهذه الخصوصية.

ثانياً: انقلاب الإلزام في الأسرة الحداثية إلى الحظية في الأسرة ما بعد الحداثية.

سيتم التذكير بمعنى الإلزام في الأسرة الحداثية، ثم مضاد المعنى في الحظية وأبرز خصائصها ومظاهرها، ثم بيان سبب انقلاب الإلزام (في الأسرة الحداثية)إلى الحظية (في الأسرة ما بعد الحداثية).

يتلخص معنى الإلزام في الأسرة الحداثية "...في حفظ الواجب في كل حق يتمتع به الفرد حتى كاد أن يكون الواجب قيمة خادمة للحق على الدوام"[62]، وهذا يعني فرضية اقتران الواجب بالحق وجعله تابعاً له، في الإنشاء والأداء، حيث لا تنفك المسؤولية عن المطالبة؛ تحقيقاً لتوازن المطالبة بالقدر المناسب والوقت المناسب.

إلا أنّ هذا الحق بدأت أصواته تنخفض في الأسرة ما بعد الحداثية، بل كادت أن تختفي ويصبح فيها الحق خادماً للواجب، بل لم تعد اللازمة ضرورة لاقترانهما معاً، فأعلن دفن الواجب وإعلاء راية الحق بعيداً عن مثله الأخلاقية، حتى أصبحت المطالبة بالحق وحده (غير مقرون بالواجب) أبرز ما يميز أفراد الأسرة ما بعد الحداثية.

---

[58] البخاري:صحيح البخاري، مرجع سابق، ج7، ص31، حديث رقم5200، كتاب النكاح، بابالمرأة راعية في بيت زوجها.

[59] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص118.

[60] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص119.

[61] عبد عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص123.

[62] الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص118.

وعليه فرق المفكر بين الحق الذي يلازمه واجب والذي يسميه (الحق)، والحق الذي لا يلازمه واجب ويطلق عليه (الحظ) بقوله: "هو الحق الذي يجوز أن لا يكون في ضمنه واجب يقيد طالبه والحظية هي خاصية التمتع بهذا الحق غير المقيد بإلزام مخصوص"[63]، وقال عنه في موضع آخر: "منحة بغير خدمة وعطاء بغير جهاد"[64].

ومن التربويين من يتفق مع المفكر طه عبد الرحمن في التمييز بين الحق الملازم للواجب والمجرد منه، وإن اختلفت المصطلحات المنحوتة، فيرى الكيلاني تسمية الحق الملازم للواجب بالمسؤولية، والمجرد عنه بالحق، حيث يعتبر أنّ تقديم لغة المسؤولية على لغة الحق من أبرز علامات نجاح العلاقات الأسرية، في حين أنّ تراجعها عن تلك الأولوية سبب في اضطراب تلك العلاقات والثورة على فطريتها للانقلاب إلى ضدها بالمثلية الجانحة[65].

ومن أبرز خصائص الحظ (الحق المنفك عن الواجب)، كما يبينها المفكر طه عبد الرحمن[66]:

- التكثير المتكلف.
- التوسيع غير المحدود.
- التأبيد المتعمد.
- التضارب والتعارض الواضح.
- الغلو البعيد.

وتتجلى مظاهر الحظية في الأسرة ما بعد الحداثية بأبرز وأوضح صورها في وضع **المرأة**، والمتلخص بما يأتي[67]:

- حظ الفصل بين الجنس والإنجاب.
- حظ الفصل بين الجسم والإنجاب.
- حظ الفصل بين الوالدية البيولوجية والوالدية الاجتماعية.
- حظ الفصل بين الولد والأب.
- حظ الفصل بين الجنس والوفاء.
- حظ الفصل بين الجنس والتوجه الإنساني.

وما سبق من مظاهر الحظية كانت أبرز خصائص الخطاب الحقوقي في الأسرة ما بعد الحداثية.

يرجع المفكر من جديد يتساءل عن سبب الانقلاب الكارثي من الإلزام في الأسرة الحداثية إلى الحظية في الأسرة ما بعد الحداثية، ومن عادة المفكر أنه يتغلغل في نظره الثاقب في أبعاد الأمور، فيرجع إلى أساس بنائها الذي قامت عليه، ثم يهدم القاعدة وينسفها عن بَكرة أبيها مقدماً مبررات الهدم والنموذج الأمثل للبناء.

وفي هذا السياق يقول المفكر في غير موضع منتقداً الفلسفة الحديثة القائمة على العقلانية المجردة، التي برأيه أخرجت الإنسان من رتبة الإنسانية، ونزلت به إلى رتبة البهيمية: " ... محتجاً-الإنسان الحداثي الغربي- في ذلك بأنه يتبع طريق العقلانية الواضح الذي هو وحده عنوان الإنسانية؟ لكن لو كان ما يدعيه هذا الإنسان صحيحاً فيا ترى كيف بالطريق العقلاني الذي يتبعه يفضي به إلى نقيض مقصوده؟ ألم يكن يريد أن يزداد به استقامة فإذا هو يزداد اعوجاجاً؟ بلى"[68].

---

[63] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص123.

[64] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص123.

[65] الكيلاني، ماجد، ثقافة الأسرة المعاصرة، دبي-الإمارات، دار القلم، ط1، 2005م، ص53.

[66] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص121-123.

[67] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص123-125.

[68] عبد الرحمن: سؤال الأخلاق، مرجع سابق، ص13.

إنّ الإلزامية التي برزت في السياق الحداثي قامت على المبدأ الانفصالي الثاني من مبادئ فصل الأخلاق عن الدين، وهو مبدأ التوسل بالعقل، والذي يتضمن بذلك أن تكون الإلزامات داخلية يمليها الإنسان من عقله على نفسه ولا تملى عليه بإرادة عليا خارجية، فتبقى له الحرية الشخصية في تنفيذ الالتزام أو عدمه.

وفي ميزان التفصيل الموجه، إنّ الإلزام القائم على مبدأ التوسل بالعقل بمنأى بعيد عن الاهتداء إلى مثله الأخلاقي الأعلى، وهو الالتزام القيّم، والذي يعني به المفكر: "الالتزام الذي يعقد فيه الملتزم قلبه على إنجاز أمور معنوية ومثالية... ولا يقدح في هذا الالتزام الذي تزدوج قيمه بالأغراض المادية لأنّ هذه الأغراض تبقى خادمة لهذه القيم ومجسدة لها"[69]، إنما هو ألصق ما يمكن أن يكون بالالتزام الهين، والذي يعني به المفكر: "الالتزام الذي يعقد فيه الملتزم قلبه على إنجاز أمور مادية وحسية"[70].

وزاد الأمر تفصيلاً، حيث ربط المثل الأخلاقي الأعلى وهو الالتزام القيم، بشاهده الأمثل، والذي يجب أن يكون "التزاماً جمع من القيم ما ليس أرسخ منه في وجدان الإنسان ولا أكمل منه في توجيه سلوكه"[71]، وهذا الشاهد الأمثل للالتزام القيم لا يمكن أن يتحقق إلا **بالالتزام الفطري**، الذي ينبغي للإنسان أن يستحضره في تطلعه للالتزام القيم، حيث عرف المفكر الفطرة أنها: "عبارة عن مجموعة القيم التي يحملها الإنسان في نفسه خَلقاً والتي تحدد كيف ينبغي أن يكون خُلُقاً"[72].

فلما هامت الأسرة الحداثية على مبدأ التوسل بالعقل، ضلت ابنتها وهي الأسرة ما بعد الحداثية في الاهتداء إلى الالتزام القيم، وشاهده الأمثل الفطرة، فلم يبق أمامها خيار إلا الالتزام الهين، الذي قلب موازين القيم إلى خلاف مقصودها، فكان الإلزام ثم انقلب إلى الحظية.

ثالثاً: انقلاب السعادة في الأسرة الحداثية إلى اللعب في الأسرة ما بعد الحداثية

سيتم التذكير بمعنى السعادة في الأسرة الحداثية، ثم مضاد المعنى في سعادة اللعب وأبرز خصائصها ومظاهرها، ثم بيان سبب انقلاب السعادة (في الأسرة الحداثية) إلى اللعب (في الأسرة ما بعد الحداثية).

إنّ السعادة الخاصة التي تاقت إليها الأسرة الحداثية،كانت ثمرة طبيعية من ثمرات القيام بالواجب، بما لا يتعارض مع السعادة العامة بل وبما يحققها أيضاً، لأنّ الهدف من أفعال الأفراد في الأسرة هو الإصلاح الأخلاقي المقترن بطلب السعادة، وبذلك يقول المفكر عن مقصود السعادة أنها: "حالة من السرور والكمال يشعر به الفرد في حياته اليومية"[73].

وبما أنّ الواجب قد تراجعت مكانته وتقهقر وجوده في الأسرة ما بعد الحداثية، فلا عجب أن يكون شغلها الشاغل بدلاً من السعادة بالمفهوم المذكور هو الرغبة وما تتركه من لذة، بغض النظر عن علاقات التكامل بين الفرد وأسرته،أوبين أسرته والمجتمع عامة، بل قد تتضارب لذته وشهواته مع العام، لكنه يأبى إلا أن يقدم رغبته ولذته متى شاء وبأي طريقة شاء.

بهذا تمتاز الرغبة في الأسرة ما بعد الحداثية بما يأتي[74]:

---

[69] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص126.

[70] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص126.

[71] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص126-127.

[72] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص127.

[73] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص135.

[74] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص129-131.

- **رغبة فردية**: وذلك بالنظرة التفكيكية المطلقة لعلاقة الفرد مع غيره في الأسرة، حيث ينظر إليه وحده وإلى رغباته، بغض النظر عن باقي أفراد الأسرة وتأثير رغباته عليهم، إنّ هذه النزعة الفردية تعد امتداداً لمذهب الإنسانية الذي يرى قدرة الإنسان على خلق الواقع الذي يريد كيفما شاء، وما تطور عنه من مذاهب أخرى كالوجودية الذي يرى إمكانية الإنسان لصنع ذاته وخلق تصرفاته بالمواصفات التي يريد، دون أي إرادة خارجية تملى عليه سواء من الخالق أو قيم خارج إرادته، فهو يختار ما يشاء وبما يلبي رغباته الفردية، وما سبق يدعو الفرد للتمرد على كل الأنماط والقيم الأخلاقية والعادات والتقاليد المعمول بها،باعتباره مفتاحاً للتنوير[75].
- **رغبة مادية:** تحتل فيها شهوة الجنس المرتبة العليا والملحة.
- **لحظية:** في كل لحظة مشهد من الرغبات مختلف عن الآخر، كما قال المفكر "جنون الإبداع"[76] في الاستغراق بالشهوات.

وبذلك أصبحت السعادة المنشودة والواقعة في الأسرة ما بعد الحداثية كما يسميها المفكر سعادة اللعب، وحد اللعب "كل نشاط جسمي أو ذهني لا يقصد صاحبه من ورائه إلا المتعة"[77]، وفي موطن آخر يقول: "العقلية التي أضحت تدبر لجودة الحياة داخل هذه الأسرة هي عقلية اللاعب الصغير لا عقلية الصاحب الكبير"[78].

وتجلت أبرز مظاهر اللعب في الأسرة ما بعد الحداثية،وإن كان الجميع فيها نزل منزلة اللعبة من اللاعب، لكنها أظهر وأقوى وأجلى في **الطفل** نزولاً بالمنزلة المشار إليها، فقد أضحى الدمية التي يلعب بها دون ضوابط للعب.حتى وإن وصل الأمران يكون "اللاعب بالطبع هو نفسه لعبة يلعب بها لكن أبى بعضهم إلاأن يروا في هذا التصرف للأسرة ما بعد الحداثية تصوراً إلى مزيد العناية بالطفل"[79]، ومن أبرز مظاهر اللعب التي تجلت في الطفل[80]:

-اللعب قبل الحمل وأثنائه: يعني اللعب قبل الحمل الرغبة في طلب الحمل بالجنين من بنوك الأجنة المجمدة، دون اكتراث بانتمائها الحقيقي الذي خرجت منه تلك البويضة أو ذاك الحيوان المنوي، تماماً كما تطلب اللعبة في سوق الألعاب بغض النظر عن صانعها أو منتجها، فالمهم التمتع بهذه اللعبة، وفي ذلك يقول المفكر واصفاً الزوجين أو الخدنين: " فلا حرج إذ ذاك من أن يطلباه-للجنين- في سوق الحمل التي أنشاها أهل تصنيع الإنسان..."[81] ، أما اللعب أثناء الحمل فإنّ الرغبة في طلب الأجنة قد تنتهي لعارض أو مزاج متقلب، فتتبدل الرغبة بالجنين إلى الرغبة عنه، أي التخلص منه، تماماً كما يمل الطفل دميته التي شغف نفسه للحصول عليها ثم قذفها بلا مبرر.

-اللعب عند الولادة وبعدها: يعني اللعب عند الولادة اتخاذ نسبه لعبة مجهولة الهوية، أي اللعب في نسب الجنين، برفع أمومته تارة أو أبوته تارة أخرى، متروكاً لمن يتبناه إلى مصير مجهول، سيما إذا كان المزاج عند ولادته غير رائق لأن يفصح عنه أو ينتسب إلى أهله، وقد تراود الرغبة أمه فيما بعد بالعودة لجنينها المتروك من جديد، كما تراود الطفل

---

[75] معميش، عز الدين، منظومة القيم الأسرية في الفكر الغربي الحديث: رؤية تحليلية نقدية، مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي "الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة"، عمان-الأردن، 9-11 نيسان، 2013م، ص1، 5، 7.

[76] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص132.

[77] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص131.

[78] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص132.

[79] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص132.

[80] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص133-134.

[81] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص133

الرغبة في العودة إلى دميته التي قذفها، لكن تلك الرغبة مرهونة بعدم سبق تبنيه من قبل آخرين. أما اللعب بعد الولادة فيتمثل في إنشاء أشكال غير محدودة من الوجود الأسري للطفل، وهو ما يسميه المفكر "الأسرة المعاد تركيبها"[82]، فتارة تكون من الربائب،وأخرى من الخدنين، ومرة من الأسرة الأم لوحدها؛ بحجة تدريب الطفل على مواجهة تقلبات الأسرة، وهو ما أصبحوا يطلقون عليه"استقوا الطفل" توافقاً مع طريقتهم في "استقوا المرأة"[83].

إنّ اللعب سابق الذكر في حق الطفل في الأسرة ما بعد الحداثية ينأى بها عن توجيهات التربويين في الإشارة إلى اعتبار سلوك الوالدين ولاسيما في السنوات الأولى للطفل، من أبرز العوامل المؤثرة في شخصيته ونموه الجسدي والانفعالي والعقلي والاجتماعي فيما بعد، باعتبار الوالدين نماذج حية معبرة عن واقع الحياة الإنسانية[84].

ثم يرجع بنا المفكر طه عبد الرحمن من جديد يسأل عن سر انقلاب السعادة إلى اللعب وانقلاب المقصود إلى ضده،فمرة أخرى يرجعنا إلى المبدأ الانفصالي الثالث من مبادئ فصل الأخلاق عن الدين، الذي انبنت عليها السعادة في الأسرة الحداثية، وهو مبدأ التعلق بالدنيا، تدريجياً منه للقول أنّ هذا المبدأ غير صالح لأن يهتدي به إلى المثل الأعلى الأخلاقي للسعادة، وهو **الحياة الطيبة المتصلة** "التي يستمتع فيها الإنسان بالخيرات"[85]، وشاهدها الأمثل الذي ينبغي أن يكون "حياة بلغ الاتصال فيها نهايته بحيث لا مزيد عليه ولا حياة أخرى تضاهيها فيه"[86]،وهذا لا يتحقق إلا بمعنى الخلود،إذ مقتضاه"الاتصال من الأزل وإلى الأبد"[87]، مفرقاً المفكر بين **الخلود**، والدوام والبقاء، فالخلود تقدم تعريفه، أما الدوام عنده فإنه اتصال محدود؛لأنه وإن لم تكن له بداية لكن له نهاية[88]، في حين أن البقاء وإن كان ليست له نهاية إلاأن له بداية[89]، ففي كل منها إحدى الطرفين من الابتداء أو الانتهاء مبتور، في حين أن الخلود متصل بطرفيه فقدمه على البقاء والدوام؛ وبذلك ندرك الحكمة في وعد الله تعالى عباده المؤمنين بجنة الخلد فقال في محكم كتابه:[قُلْ أَ ذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيرًا] (الفرقان: 15).

فكيف بنظام لا يعرف إلا الدنيا، أن يهتدي لخلود لا يدرك معناه إلا بالآخرة، فمن الطبيعي أن تنقلب السعادة إلى اللعب؛ لأن مثلها الأخلاقي لم يرق إلا للحياة الطيبة المنفصلة "التي يستمع فيها الإنسان على فترات متقطعة ببعض الخيرات المادية"[90]دون المعنوية، في حين أن الحياة الطيبة المتصلة "التي يستمتع فيها الإنسان بالخيرات المعنوية على الدوام سواء ازدوجت بالخيرات المادية أم استقلت بنفسها"[91].

وبالإمكان تلخيص هذا المحور بالنموذج الآتي:

---

[82] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص134.

[83] حلمي، كاميليا، أهم المصطلحات الواردة في أبرز الاتفاقيات والمواثيق الدولية للمرأة والطفل وخطورتها على الأسرة، ورقة بحث غير منشورة، مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي "الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة"، عمان-الأردن، 9-11 نيسان، 2013م، ص18-20.

[84] أبو دف، محمود، مقدمة في التربية الإسلامية، غزة-فلسطين، مكتبة سمير منصور، ط4، 2014م، ص164.

[85] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص135.

[86] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص136.

[87] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص136-137

[88] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص136

[89] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص136

[90] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص135.

[91] عبد الرحمن: روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص135.

وجه المقارنة	الوالدة الأسرة الحداثية	الوليدة الأسرة ما بعد الحداثية
مبادئ فصل الأخلاق عن الدين – مبدأ 1 – الخلق المرتجى – المثل الأعلى الأخلاقي – الشاهد الأمثل	– مبدأ التوجه إلى الإنسان (إقصاء الإله) – أخلاق المروءة – المعية الرافعة – التعالي	– انقلاب المقصود إلى ضده – الإمعية – المعية الخافضة – _____
– مبدأ 2 – الخلق المرتجى – المثل الأعلى الأخلاقي – الشاهد الأمثل	– مبدأ التوسل بالعقل (إقصاء الوحي) – أخلاق الإلزام – الالتزام القيم – الفطرة	– انقلاب المقصود إلى ضده – الحظية – الالتزام الهين - _____
– مبدأ 3 – الخلق المرتجى – المثل الأعلى الأخلاقي – الشاهد الأمثل	– مبدأ التعلق بالدنيا (إقصاء الآخرة) – أخلاق السعادة – الحياة الطيبة المتصلة – الخلود	– انقلاب المقصود إلى ضده – اللعب – الحياة الطيبة المنفصلة - _____

وكان من أبرز الانتقادات الموجهة للحضارة الحديثة أنها: "حصرت مفهوم التنمية في الميادين الاقتصادية وتجاهلت تنمية قدرات الإنسان الخيرة وفضائله النبيلة، بحيث كانت النتيجة هي تدمير سعادة

الإنسان واستقراره وأمنه وسلامه، وتحويله إلى آلة في نظام التنمية الاقتصادية التي لاغاية لها إلا زيادة الإنتاج والاستهلاك"[92]، على حساب المثل العليا للقيم الإنسانية.

الخاتمة

خلصت الباحثة إلى الاستنتاجات الآتية:

1. يعرف طه عبد الرحمن الأسرة تعريفاً وظيفياً مبرزاً أهميتها الأخلاقية بالدرجة الأولى، بأنها (المحل الذي يتعلق فيه الإنسان بغيره تعلق نسب ويتخلق فيها بحسب هذا التعلق)، ويفرق المفكر بين مصطلحي: الزوجية والزواجية، باعتبار الأخير ملتصق بالاعتبار القيمي للإنسان وأنه الأصل في الاقتران بين الرجل والمرأة.
2. يرى طه عبد الرحمن أنّ روح الحداثة هي جانبها التنظيري، أما واقع الحداثه فهو التطبيق لروحها أي الجانب العملي, وتقوم روح الحداثه على ثلاثة مبادئ: (النقد والرشد والشمول)، لكل منها ركنين يقوم بهما وكل ركن يستند إلى مسلمات سماها "مسلمات التطبيق".
3. إنّ أخلاق الحداثه هي الأخلاق اللادينية، التي كرست جهود الساعين بفصل الأخلاق عن الدين في الأسرة على وجه الخصوص، وهي ثلاثة مبادئ:

[92] الكيلاني: ثقافة الأسرة المعاصرة، مرجع سابق، ص129.

- التوجه إلى الإنسان (بدل الإله) للتوصل إلى أخلاق المروءة.
- التوسل بالعقل (بدل الوحي) للتوصل إلى أخلاق الإلزام.
- التعلق بالدنيا (بدل الآخرة) للتوصل إلى أخلاق السعادة.

4. إنّ أخلاق الأسرة الحداثية انقلبت إلى خلاف مقصودها في وليدتها الأسرة ما بعد الحداثية، وأفرزت تحديات أخلاقية هبطت بالإنسان من الإنسانية إلى البهيمية، حيث:

- انقلبت أخلاق المروءة في الأسرة الحداثية إلى الإمعية في الأسرة ما بعد الحداثية.
- وانقلبت أخلاق الإلزام في الأسرة الحداثية إلى الحظية في الأسرة ما بعد الحداثية.
- وانقلبت أخلاق السعادة في الأسرة الحداثية إلى اللعب في الأسرة ما بعد الحداثية.

5. ثمة فرق في رأي المفكر طه عبد الرحمن بين نموذج التفصيل الموجه في التطبيق الحداثي الإسلامي، الذي يربط السبب في الظاهرة السلوكية للإنسان بالمثل الأعلى الاخلاقي وشاهده الأمثل, وبين نموذج التفصيل المطلق في التطبيق الحداثي الغربي، الذي يفصل بل ويبتر السبب في السلوك الإنساني عن مثله الأخلاقي الأعلى وشاهده الأمثل،ما يجلب السعادة للنموذج الأول وينأى بها عن الثاني، وتبعاً يرتقي الإنسان في النموذج الأول ويهبط في النموذج الثاني، وهذا هو عين البحث التربوي.

وفي ضوء استنتاجات البحث، توصي الباحثة بالآتي:

مزيد من الدراسات الفكرية المعمقة لكتابات المفكر طه عبد الرحمن؛ في سبيل إخراجها لحيز عموم النفع وتيسير سبل الفائدة، بوساطة البحث العلمي شرحاً وتنقيباً.

المصادر والمراجع

1. الأسمر، أحمد رجب، النبي المربي، عمان-الأردن، دار الفرقان، ط1، 2001م.
2. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، الكويت، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط1، 2002م.
3. أفاية، محمد نور، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابر ماس، الدار البيضاء-المغرب، دار إفريقيا الشرق، دط، 1993م.
4. الأنصاري، فريد، أبجديات البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التأصيل المنهجي، القاهرة-مصر، دار السلام، ط1، 2010م، ص26.
5. الأنصاري، محمد جابر، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة، تشرين الثاني 1980م.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دم، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
7. البطاري، رجاء، مجلة إسبوعية "مغرب اليوم"، العدد 219، المغرب- الدار البيضاء، 2013م.
8. البوشيخي، الشاهد، نظرات في المصطلح والمنهج، فاس-المغرب، مطبعة آنفو-برانت، ط4، 2002م.
9. حلمي، كاميليا، أهم المصطلحات الواردة في أبرز الاتفاقيات والمواثيق الدولية للمرأة والطفل وخطورتها على الأسرة، ورقة بحث غير منشورة، مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي "الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة"، عمان-الأردن، 9-11 نيسان، 2013م، ص18-20.
10. ابن حنبل، أحمد أبو عبدالله الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دم، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.
11. دار المشرق، المنجد في اللغة والأعلام، بيروت-لبنان، دار المشرق، ط29، 1986م.
12. أبو دف، محمود، مقدمة في التربية الإسلامية، غزة-فلسطين، مكتبة سمير منصور، ط4، 2014م.
13. الرفاعي، سميرة، المؤثرات الفكرية على التربية الأسرية وسبل مواجهتها: تيارات الداروينية الاجتماعية وقيم ما بعد الحداثة نموذجاً، ورقة بحث غير منشورة، مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي "الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة"، عمان-الأردن، 9-11 نيسان، 2013م، ص7-8.
14. ـــ، ـــ، المضامين التربوية والبيانية في الآيات المتعلقة بالدراسات الأسرية، ورقة بحث مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي "التجديد في الدراسات القرآنية"، جامعة ملايا، كوالالمبور-ماليزيا، 18-19 تشرين الثاني، 2014م، ص7.
15. عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994م.
16. ـــ، ـ، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م.
17. ـــ، ـ، سؤال الأخلاق، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م.
18. الغزالي، أبو حامد، رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب، تحقيق: حمود بيجو، دمشق-سوريا، دد، دط، 1992م.
19. الغزالي، محمد، هذا ديننا، الدوحة-قطر، دار إحياء التراث الإسلامي، دط، 1983م.
20. الكيلاني، ماجد، ثقافة الأسرة المعاصرة، دبي-الإمارات، دار القلم، ط1، 2005م.

21. الكيلاني، ماجد، فلسفة التربية الإسلامية، عمان-الأردن، دار الفتح، ط1، 2009م.
22. معميش، عز الدين، منظومة القيم الأسرية في الفكر الغربي الحديث: رؤية تحليلية نقدية، مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي "الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة"، عمان-الأردن، 9-11 نيسان، 2013م، ص:1، 5، 7.
23. همام، محمد، حوارات من أجل المستقبل للدكتور طه عبد الرحمن، مجلة إسلامية المعرفة، السنة السادسة: العدد 23، الرباط: منشورات الزمن، 2000، ص 145-146.
24. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، على شبكة الإنترنت:
http://ar.wikipedia.org